أهرامات مصر القديمة

نُشر لأول مرة

مجلة الخليقة 26 (4) : 44 - 49

سبتمبر 2004

بقلم "ديفيد داون"

أهرامات مصر مبان فريدة ومازالت تفتن العالم بجمالها حتى اليوم . يبلغ عددها الإجمالى حوالى 100 هرم ، بعضها صغير وليست له أهمية تُذكر لكن هناك سبعة عشر هرمًا كبيرًا يربكون أذهان زائريها من حيث الحجم والتكوين .

يستخدم النقاد الأهرامات كحُجة للادعاء بعدم صحة الكتاب المقدس إذ يقولون أنها بُنيت قبل طوفان نوح بمدة طويلة لذا كان الطوفان حادثة محلية ولم يغط كل سطح الأرض كما قال الكتاب المقدس وإلا لكانت دُفنت الأهرامات تحت طبقات عديدة من الرواسب .

المشكلة هى الطريقة التى بنى عليها الباحثون المعاصرون التسلسل الزمنى لمصر . ترك كاهن مصرى اسمه "مانيتون" قائمة بأسماء ملوك وأسر ملكية وفترة حكم كل ملك منهم ، بالرغم من المعلومات التاريخية التى عرفناها من نقوش جدران المقابر والمعابد إلا أن المشكلة هى كيفية تفسير هذه المعلومات . لم يمتلك علماء الآثار الكثير للعمل عليه لكنهم افترضوا افتراضات عديدة . كما وضع العلماء المعاصرون تصورًا للتسلسل التاريخى يتماشى مع الفكرة التى تخيلها الناس عبر ملايين السنين .

لا يُعرف الكثير عن الملك نفرحتب الأول يعتقد بعض مؤرخو الكتاب المقدس أنه قد يكون فرعون الذى اضطهد بنى إسرائيل مما اضطرهم للخروج من مصر . لم يتم أبدًا العثور على جثته ومقبرته.

كل هذا ساعد على تحول إحدى عجائب العالم القديم إلى لغز يحيط به الغموض من كل جانب . إذا كانت المجتمعات البشرية الأولى نشأت من صيادين بدائيين فكيف استطاع الحرفيون القدماء بناء هذه الأهرامات المذهلة ؟ إذا كانوا بدأوا بدون تكنولوجيا أو تنظيم اجتماعى معين فكيف تفجرت هذه الإنجازات الهندسية من العالم القديم ؟ لقد وصل الأمر بالبعض إلى تخيل أن كائنات فضائية أمدتهم بهذه التكنولوجيا .

لكن أهرامات مصر ليست لغزًا لو استخدمنا أحداث الكتاب المقدس التاريخية كنقطة بداية . وفقاً للكتاب المقدس فقد ارتحل أوائل المستوطنين المصريين من نهر الفرات ، موقع برج بابل حيث تبلبلت الألسنة بعد الطوفان . التاريخ الحديث لمصر طويل جدًا لأنهم رتبوا الأسر الملوكية ترتيبًا متعاقبًا فى حين أنه كان ، بدرجة أقل أو أكثر ، ترتيبًا معاصرًا . بمعنى آخر تزامنت بعض فترات حكم الملوك فى وقت واحد وهناك أسر ملكية لم توجد حتى فى الواقع .
يبدو أن المستوطنين المصريين الأوائل انحدروا من "مصرايم" ابن حام (تكوين 10 : 6 و13) لهذا ظهر على الساحة ، من الأسرة الأولى ، أناس لهم ثقافة ومهارة وشكل من أشكال الكتابة .

لم يبن المستوطنون الأوائل ، من أول أسرتين ، الأهرامات . بل كانوا يدفنون الملوك فى غرف تحت مبان مبنية بالطوب اللبن يُطلق عليها اسم "مصاطب" . لكن فى الأسرة الثالثة كان للملك "زوسر" وزير اسمه "امحوتب" استخدم كتلاً من الحجر الخام بدلاً من الطوب لبناء مصطبة للملك ثم أضاف ست درجات بانيًا هرم سقارة المدرج على الضفة الغربية لنهر النيل ، جنوب القاهرة الحديثة بـ20 كم (120 ميل) . يُعتقد أن يكون هذا أول هرم بُنى فى مصر .

سنفرو وابنه

أعظم بان للأهرامات عُرف فى التاريخ هو "سنفرو"، بنى أول هرم له شكل هرمى حقيقى عند "ميدوم" التى (25 ميلاً) جنوب سقارة . لكن للأسف الأحجار الخارجية وقعت تاركة درجة واحدة للهرم .

بنى "سنفرو" هرمًا آخر قريبًا من سقارة بدهشور ، اسمه الهرم المنحنى لأن النصف السفلى يرتفع بزاوية انحدارًا من النصف العلوى الذى يميل بزاوية 43 درجة فقط .
هناك تصدعات فى بعض الأحجار السفلية إذ ربما خشى عمال بناء "سنفرو" من حجم الضغط الهائل وأكملوه بدرجة ميل أكثر أمناً . هذا الدليل الواضح

القوى العاملة لدى فرعون

اكتشف مؤخرًا "مارك لينر" عالم الآثار القرية التى عاش فيها بناة الأهرام . وجد مخبزًا كان يوفر خبزًا لعشرين ألف عامل حسب تقديره ووجد أيضًا المقبرة التى كانوا يدفنون بها العمال حين يموتون أثناء العمل . وجد أن بعض الجثث بها عظام مكسورة نتيجة أحمال ثقيلة سحقتها لكن الجبائر والعناية الطبية الماهرة مكنت العظام من النمو معًا مرة ثانية . بمعنى آخر هناك براهين كثيرة تثبت أن أشخاصًا حقيقيين بنوا الأهرامات وليس كائنات من المريخ أو رواد فضاء من حضارات مفقودة . لن تندهش إذا فكرت كما يرشدك الكتاب المقدس .

على التجربة والفشل هو ما كنا نتوقعه من بشر أذكياء لكن لهم عيوبهم أيضًا ، كما يُظهر مدى سخافة فكرة بناء الكائنات الفضائية للأهرامات .

لم يكتف "سنفرو" بهذه الانجازات الضخمة فبنى الهرم الأحمر فى "دهشور" أيضًا . بُنى الهرم كله على أدنى زاوية وهى 43 درجة . ربما كان ذلك محاولته الأخيرة لبناء هرم لا يسقط عليه بعدما يُدفن بأسفله .

بنى "خوفو" ابن "سنفرو" (المؤرخون اليونانيون يسمونه "كيوبس") هرمًا أكبر من كل الأهرامات على هضبة الجيزة ، شمال سقارة وعلى بعد 15 كم (10 أميال) غرب القاهرة الحديثة . يبلغ ارتفاعه 164 مترًا (480 قدمًا) ويُعرف بالهرم الأكبر وبناه عدد هائل من العمال (انظر لأعلى : القوى العاملة لدى فرعون) .

يحتوى على حوالى 3 مليون حجرًا ضخمًا ، يزن بعضها 15 طنًا . كانت غرفة دفن الملك مبطنة بكتل من الجرانيت الضخمة نقلت عبر نهر النيل من أسوان التى تقع على بُعد 1000 كم (600 ميل) جنوب القاهرة ، يصل وزن كل واحدة منها إلى 30 طن وهى ذات شكل مربع ملتصق بعضها بالبعض لدرجة أن يصعب إدخال ورقة بينها . هذا الابداع والاتقان ينال إعجاب العالم أجمع (انظر كيف تم وضع الأحجار فى أماكنها ؟ بنهاية المقال) .

أسر الأهرامات

استكمل "دجيدف رع" ابن "خوفو" تقليد العائلة وبنى هرمًا بـ"أبى رواش" على بُعد عدة كيلومترات من شمال غرب الجيزة . هذا الهرم إما لم يُستكمل أوقام بعض اللصوص بسرقة أغلب الحجارة العليا .

الملكان التاليان من نفس الأسرة "خفرع" و"منقرع" بنيا أهرامهما على هضبة الجيزة . يرتفع هرم "خفرع" فى نفس مستوى هرم "خوفو" تقريبًا لكن بزواية أكثر انحدارًا لذا تطلب الأمر المزيد من الحجارة .

يبلغ حجم هرم "منقرع" ربع الأهرامين السابقين لكن الطبقات السفلية مغطاة بكتل جرانيت من أسوان . لم يكتمل الشكل الخارجى لبعض هذه الأحجار لذا يرى علماء الآثار أن الأحجار الخارجية لم تقطع بالشكل المناسب قبل وضعها فى أماكنها ، لكنها وُضعت ثم بدأ العمال عملهم من أعلى إلى أسفل .

الأميرة المصرية سوبك نفرو . هل هذا وجه المرأة التى سحبت "موسى" من المياه لأنها لم تكن تنجب ؟ بعض مفسرى الكتاب المقدس يعتقدون ذلك .

تمثال الملك "زوسر" هذا يظهر وجهه قاسيًا لأن اللصوص سرقوا العيون الأصلية وشوهوا الوجه . هو ومهندسه المعمارى "إيمحوتب" بنيا اول هرم .

أهرامات الأسر الخامسة والسادسة كانت ذات مستوى ردىء ومبنية من الأنقاض لكن مغطاة بأحجار بيضاء جميلة . سُرقت معظم هذه الأحجار مخلفة وراءها أكوام من الأنقاض . أدخل "أوناس" آخر ملك من الأسرة الخامسة ميزة جديدة فى هذه الفترة . نحت خطوطًا رأسية من النصوص الهيروغليفية على جدران غرفة مقبرته . لا توجد نصوص أصلية فى الأهرامات السابقة .

ساد الفقر وعدم الاستقرار فى عهد الأسرة السابعة وحتى العاشرة وهو ما يُعرف بـ"عصر الاضمحلال الأول" . لكن بعض الباحثين[1] رأوا أن هذه الأسر لم توجد فى الأصل ، على الأقل كأسر مستقلة بذاتها وهذا سبب آخر لحاجة التاريخ التقليدى المصرى إلى الاختصار .

أهرامات من الطوب الطينى

عاشت الأسر التالية التى يُطلق عليها "المملكة الوسطى" عهد قوة ورخاء . إذا طبقنا التاريخ المصرى المختصر الذى نادى به بعض الباحثين[1] سنجد أنه ربما جاء "يوسف" ثم "يعقوب" وعائلته إلى مصر أثناء الأسرة الثانية عشرة وربما ولد "موسى" قبل نهاية تلك الأسرة .

أغلب الأهرامات التى بُنيت فى عهد هذه الأسرة صُنعت من ملايين أقراص الطوب الطينى ذات الحجم الكبير المجففة بالشمس . ثم بُطن البناء بالحجارة الملساء لإعطاء مظهر هرم من حجر حقيقى لكن الأحجار سُرقت منذ فترة طويلة تاركة خلفها كومة كبيرة من الطوب الطينى .

المؤرخ اليهودى "يوسيفوس" كتب بخصوص العبيد الإسرائيليين فى مصر وقال : "وأجبروهم (المسخرون المصريون) أيضاً على بناء الأهرامات"[2] . رفض أغلب علماء الآثار هذا التصريح مفترضين انتهاء بناء الأهرامات قبل وصول بنى إسرائيل إلى مصر .

هرم أمنمحات الثالث المبنى من الطوب الطينى . قد يكون هو الفرعون الذى تولى الحكم أيام تلقى "موسى" تعليمه فى القصر .

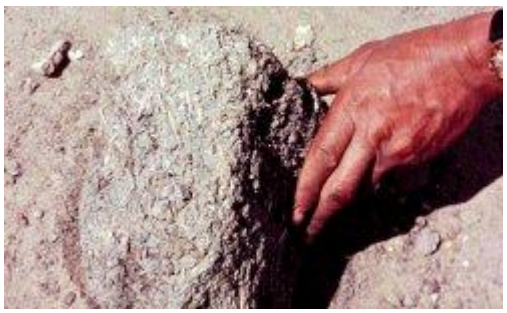

طوب طينى ممزوج بالقش ـ ربما مثل ما كان يصنعه بنو إسرائيل (خروج 1 : 14 و5 : 7 - 19) .

سينخفض تاريخ الأسر المبكرة بالتسلسل التاريخى المختصر وسنجد أن بنى إسرائيل كانوا فى مصر أثناء الأسرة الثانية عشرة . كما سيتماشى هذا مع نوع الأهرامات المنتشر فى تلك الأيام أى الأهرامات المبنية من الطوب الطينى . وفقاً لخروج 5 : 7 قال فرعون لمسخرى الشعب "لا تعودوا تعطون الشعب تبناً لصنع اللبن كأمس وأول من أمس . ليذهبوا هم ويجمعوا تبناً لأنفسهم" . يبدو أن علماء الآثاء هم الذين اختلط عليهم الأمر وليس "يوسيفوس" .

هناك أدلة أيضًا على وجود عبيد من أصل أسيوى (من سوريا أو فلسطين) فى مصر فى عهد تلك الأسرة . كتبت د."روزالى ديفيد" فى كتابها "بناة الأهرام فى مصر القديمة" *The Pyramid Builders of Ancient Egypt* : يبدو أن الآسيويين كانوا موجودين بالمدينة بأعداد ليست بقليلة

وانعكس هذا الأمر على كل مكان فى مصر. ... لا يمكن تحديد وطنهم بالضبط سواء كان سوريا أو فلسطين... ويظل سبب وجودهم فى مصر غير واضح"[3] . لكن من الواضح متى نبدأ مع الكتاب المقدس .

سير "فلندرز بيترى" و"روزالى ديفيد" لم يتمكنا من فهم سبب وجودهم فى مصر لأنهما تمسكا بالتواريخ التقليدية للأسرة الثانية عشرة فى مصر وهى من 1990 حتى 1785 قبل الميلاد ، بينما التواريخ الكتابية لوجود بنى إسرائيل فى مصر ستكون من 1660 حتى 1445 قبل الميلاد (ملوك الأول6 : 1) .

وفجأة اختفى أولئك العبيد بدرجة ملحوظة ولا يعلم علماء الآثار السبب . من النادر أن يرحل العبيد فجأة فى جماعات لكن د."ديفيد" كتبت قائلة : "تختلف الآراء حول كيف انتهت الفترة الأولى من الاحتلال فى كاهون... أنواع وكميات الأشياء المستخدمة يوميًا التى تركت فى المنازل قد توحى فعلاً بأن الرحيل كان مفاجئاً وغير مخطط له"[4].

تختفى كل هذه المشاكل عندما نبدأ دراسة الأحداث التاريخية الواردة بالكتاب المقدس والموثوق فيها .

آخر هرم كبير

آخر أهرامات مصر الكبيرة بناه أمنمحات الثالث فى "هوارة" على بُعد 110 كم (70 ميل) من جنوب القاهرة . قد يكون هذا الفرعون هو الذى تولى رعاية وتربية "موسى" .

ابنته "سوبك نفرو" كانت آخر من حكم من هذه الأسرة ولم يكن لديها أبناء ليخلفوها . قد تكون هى ابنة فرعون التى "نزلت إلى النهر لتغتسل" (خروج 2 : 5) . لم يكن سبب ذلك هو عدم وجود حمام لها فى القصر الملكى بل ربما كانت فى طريقها لتصلى إلى إله الخصوبة "هابى" ليهب لها ابناً . وعندما لاحظت السلة التى كان بها الطفل "موسى" اعتبرت هذا استجابة لصلاتها .

التحنيط

عادة يربط الناس مصر بالمومياوات . المناخ الجاف ساعد على الحفاظ على الجثث المدفونة فى حفر رملية ضحلة كما تبين لنا الصورة التالية .

كان المصريون يحنطون موتاهم فى الماضى وعملية التحنيط هذه كانت مكلفة للغاية لا يقدر عليها إلا الملوك وطبقة النبلاء .

كان التحنيط يستغرق حوالى 70 يومًا ويتطلب نزع أى رطوبة فى الجسد حتى لا تتعفن الهيئة الجافة بسهولة . وبعد استئصال كل الأعضاء يخضع الجسد لعمليات متنوعة ثم يُلف فى لفائف كتان قد يصل طولها إلى مئات الأمتار .

مثل أى مجتمع وثنى لم يؤمن قدماء المصريين بالخالق الحقيقى إله الكتاب المقدس . بل اعتقدوا أن الحفاظ على أجسادهم بقدر المستطاع كما كانت فى حياتهم سيضمن لهم حياة أبدية .

بناء هذه الآثار الحجرية الضخمة يرينا أنهم كانوا كمن يبنون للخلود .

لكن عندما بلغ "موسى" أربعين عامًا أظهر تعاطفاً مع بنى إسرائيل العبيد وقتل أحد المصريين. لما علم فرعون بالخبر هرب "موسى" لأرض بعيدة ، إلى مديان . وبموت "سوبك نفرو" كانت نهاية هذه الأسرة . وبعد هروب "موسى" بأربعين سنة قال الله له "قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك" (خروج 4 : 19) فعاد إلى مصر وواجه أحد فراعنة الأسرة الثالثة عشرة ربما كان "نفرحتب" الأول الذى لم يتم أبدًا العثور على مومياه أو مكان دفنه .

عندما ندرس التاريخ والتسلسل الزمنى كما هو مكتوب فى الكتاب المقدس سنجد أنه يتماشى مع الأدلة التى يجدها علماء الآثار . لم يكن بناة الأهرام قومًا تطوروا من حيوانات عبر ملايين السنين ، بل كانوا فى يوم من الأيام جزءًا من حضارة متقدمة بنت برجًا يعلو فوق سهول بابل (تكوين 11) ، شعبًا انحدر من أسرة نزلت من فلك يزن حوالى 15 ألف طن (تكوين 6 - 8) . مازلنا لا نعلم بالضبط كيف حققوا كل تلك الانجازات الهندسية فى مصر القديمة لكن يمكننا التأكد من شىء واحد هو أن شعبًا بينه وبين "آدم" أقل من 30 جيلاً يمتلك مهارات ذهنية فائقة .

كيف تم وضع الأحجار فى أماكنها ؟

توجد نظريات عديدة لتفسير كيف وضعت الأحجار فى أماكنها فى أهرامات مصر الضخمة . فلا ضرورة لتأليف ألغاز غامضة أو اللجوء إلى حيلة كائنات فضائية متقدمة .

الأحجار قد تكون سُحبت عبر منحدر رغم ضرورة امتداد مثل ذلك المنحدر لمئات الأمتار واحتوائه على كميات ضخمة من الطوب أو الحصى . هناك فكرة بديلة ترى وجود منحدر حلزونى حول الهرم يتدرج فى الارتفاع . ويرى د."زاهى حواس" ، عالم الآثار المصرى ، أن الأمر قد يكون مزيجًا من الاثنين .

الطبقات السفلية لا تشكل مشكلة . المصطبة التى بُنى عليها الهرم حُفرت فى الصخر ونزلت تحت مستوى الأرض حتى يستطيعوا قطع كتل الأحجار من هذا الحوض . وكلما يزداد الارتفاع يصغر حجم الكتلة حتى يتم رفعها بسهولة رغم كونها مهمة هائلة .

ما من عالم آثار قدير يقبل فكرة "سكب" الأحجار كالخرسانة . حقيقة استخدام الجير كملاط أو مونة فى أماكن كثيرة لربط الأحجار بعضها ببعض تبين لنا أنها كانت أحجار مستخرجة من المحاجر . تم استخراج معظم الأحجار من محجر واسع يبعد 500 متر (1600 قدم) عن الهرم. القطع المربع على الجوانب يدل على مكان استخراج هذه الكتل الضخمة .

لم يستخدم قدماء المصريين العربة ذات العجلات التى ما كانت ستفيدهم على الأرض الرملية للهضبة التى بُنيت عليها الأهرامات . بل استخدموا المزلقة ومن الممكن اقتفاء آثار الطريق التى كانت تجر عليها الأحجار .

بالرغم من تقديرنا للتكنولوجيا واستخداماتها فإننا لازلنا نقف منبهرين أمام مهارة بناة الأهرامات التى ظهرت فى رفع تلك الأحجار الضخمة ووضعها فى مكانها بذلك التماثل الدقيق
"ديفيد داون" عالم آثار يقود عمليات حفرية كثيرة فى إسرائيل ويعمل مع هيئة الآثار الإسرائيلية. اشترك فى عمليات حفرية بتسع أماكن مختلفة . يعمل "ديفيد" أيضاً كمحرر وناشر بجريدة Diggings ومجلة Archeological Diggings اللتين يُنشر بهما مقالات كثيرة عن الأهرامات والتسلسل التاريخى المراجع .

المراجع :

1. James, P., *Centuries of Darkness: A Challenge to the Conventional Chronology of Old World Archaeology*, Cape, London, 1991; also Down, D., Searching for Moses, *TJ* **15**(1):53–57, 2001.
2. Josephus, F., *Antiquities of the Jews*, II-IX-1.
3. David, A.R., *The Pyramid Builders of Ancient Egypt: A modern investigation of Pharaoh's workforce*, Guild Publishing, London, p. 191, 1986.
4. Ref. 3, p. 199.